على هامش معالم التقريب *

ما تبثه الطاقة الروحية

فى الإسلام ـ رحمة الرحمن، ليست رحمة نظامية إحصائية للمجاميع والأنواع فى عمومها الذى قد يشبه نفع المرافق والخدمات العامة والمزايا الاجتماعية، وإنما رحمته سبحانه وتعالى ـ رحمة حيّة موجهة قصدًا إلى إنسان حىّ .. تعرفه الرحمة تمامًا وتقصده قصدًا .. يلفت محمد عبد الله محمد إلى أن هذه الرحمة ليست معنًى مجردًا، ولا تقف عند المجردات، بل هى رحمة من الله الحىّ القيوم، لا تشبه علاقة الدول أو الحكومات أو الأوطان لشعوبها، أو علاقة الأحزاب بأشياعها ـ وإنما تشبه إن حار التشبيه لمجرد التقريب، تشبه فى حرارتها واختصاصها رحمة الأم أو الأب أو الصديق الصادق ..

والله تبارك وتعالى لا يعامل عباده بالجملة على أساس إحصائى من باب الاقتصاد الذى يجرى عليه البشر والحكومات توفيرًا للجهد والمال، فهو جل شأنه أعظم وأغنى من أن تخضع رحمته إلى هذه القياسات ..

" أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ " (سورة ٩) ..
" وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ "

---

* المال ٢٠١١/٤/٧

(المنافقون ٧) .. " وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ " (الحجر ٢١) ..

وكثيرًا ما ينسى معظم الناس أهمية الطاقة الروحية حينما يعترض فكرهم على الأشكال والطقوس والمراسم،لأنهم لا يرون منها إلا الجانب الآلى وما ينفق فيها من جهد، ولا يتعمقون روحها ومعانيها ولا يلتفتون إلى تنشيطها للطاقة الروحية الكامنة فى كل منهم . وهذه الوظيفة تجاوز فى قيمتها وأثرها ما ينفق فى الطقوس من وقت وجهد أو مال .

كذلك الآثار والإنشاءات، من مساجد وجوامع ومزارات .. فهى قد تكون مجالا لتأثيرات قوية تنشط الطاقة الروحية وتقويها، ونجاحها فى ذلك يعوض وزيادة ما أنفق فيها أو عليها .

والتجمعات الدينية ليست مجرد احتشاد وازدحام، وإنما هى نية وقصد وإرادة واتجاه إلى الله عز وجل .. ولا يتحقق ذلك إلا بتمثل هذه المعانى التى هدى إليها القرآن المجيد ونبه إلى وجوب تنقية هذه التجمعات الدينية مما يفسدها .. فيقول رب العزة : " فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ " (البقرة ١٩٧) ..فكل من هذه الشوائب يعارض بل ويقاوم الطاقة الروحية، ويفسد القصد والمناخ المناسب لها .. وإذا فشا أى من هذه الشوائب فى أى تجمع دينى - مزق روح وحطوط قوى التجمع وأبطل أو قلص تأثير الطاقة الروحية، من أثر التدافع والتصارع على المناسك وأماكن العبادة أو المشاهد .

حين يسلم التجمع الدينى من الرفث والفسوق والجدال، يتخلص من المعوقات ويصبح مجالا قويا للتأثير .. يتوقف حجم وشدة قوته على كثرة العدد وتشابه المشتركين فى المظهر والنداءات

والابتهالات .. يسهم فى ذلك نشاط الطاقة الروحية الكامنة التى تسرى من الفرد إلى المجموع، وتتزايد قوتها وأثرها بالتضافر بين المشتركين فى المراسم بل ولدى المشاهدين لهم .. وفى الأثر : " إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين .. وأحبها إليه سبحانه ـ ألينها وأرقها " ..

والإنسان جيد التوصيل للطاقة الروحية ـ هو آنية الله .. يألف الناس ويألفونه .. ويحبهم بإخلاص ويحبونه .. لأنهم يجدون عنده راحة الخاطر، والأمل والثقة . وأمثال هؤلاء الذين وهبوا اللين والرقة، الآلفين والمألوفين، قال فيهم الحديث الشريف : " المؤمن آلف ومألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف ". أمثال هؤلاء شاءت رحمة الله ألا تخلو الأرض منهم .. تقل أعدادهم أو تزيد تبعا لمقدار ترحيب البيئة بهم ..

يُروى عن أبى بكر الصديق ـ أنه وصف أبا عبيدة بن الجراح لمن يسألوه النصح والتوجيه، فقال لهم : " عليكم بالهين اللين، الذى إذا ظلم لم يظلم، وإذا أُسِىءَ إليه غَفَر، وإذا قطع وَصَل، رحيم بالمؤمنين .. عليكم بأبى عبيدة بن الجراح "

والإنسان اللين الخلق، الآلف المألوف، إنسان موهوب، حظه من الطاقة الروحية كبير وكثير .. فهذه الطاقة الشديدة هى التى تعطيه هذه القدرة الفياضة على التواصل مع الناس، دون أن يضيق صدره أو يعيل صبره أو يفتقر حلمه ..

يرى محمد عبد الله محمد أن هذا الإنسان لا تتناهى مجالات تأثيره التى تنشط فيها طاقته الروحية، وينطلق منها جانب حر على هيئة تيار روحى متتابع النبضات .. يختلف شدة حسب الأحوال إلى من يتصلون به أو يقتربون منه .. فالعبادات الفردية والصلات

لاجتماعية العادية ومصافحة الأيدى لأيدى الناس وقلوبهم وعقولهم
. مجالات تأثير تنشط فيها الطاقة الروحية فائقة الوفرة .. بل إنها
تنشط لمجرد سماع الألفاظ والعبارات وأصوات الأدعية أو الضراعات
و الابتهالات والترتيلات ..

وفى هذا الباب تختلف قوة الموهبة والعطية الإلهية .. ويتدرج
صاحبها ارتفاعا فى نعمة الله تبارك وتعالى وفضله، إلى أن تصير
ذكراه ـ أى تذكره حيًا أو ميّتا ـ مجالاً واسعًا وقويًا فى ذاته لتنشيط
لطاقة الروحية لدى محبيه أو لدى من يتذكره أو يذكر أمامه من
عباد الله العاديين المستورين . وهذه العطايا الإلهية، هى باب غير
مباشر للتقريب بين المؤمنين الذين يتلاقون بغير ترتيب ولا قصد
على مصادر إشعاع هذه الطاقة الروحية التى تأتلف وتتجمع عليها
القلوب .